



أقرأ كثيرا عن التأثير السياسي الإيراني على المشهد العربي المعاصر، ولكن لم أطلع على أي دراسة حقيقة للتأثير الفارسي على المجتمع العربي المعاصر. وأرى من واجب مفكرينا وكتابنا وعلمائنا إعطاء هذا الجانب الكبير من الأهمية.

في الأربعينات من القرن العشرين لم تكن اتفاقية "سايكس- بيكون" قد طبقت بشكل جغرافي وسياسي، وخلال تلك الفترة وما قبلها حدثت هجرات كثيرة من الجزيرة العربية وخصوصا منطقة "نجد"، التي كانت بيئة طاردة بسبب القحط والجوع، إلى العراق والشام ومصر والسودان ووصلت تلك الهجرات إلى الهند. ارتحل والدي "رحمه الله" إلى العراق التي كانت الأقرب إلى منطقة نجد، وحيث تتوارد أكبر مجموعة نجدية، وأسسوا في جنوب العراق مناطق وقرى خاصة بهم منها الزبير والخميسيه وسوق الشيوخ والغبيشية، اختلطوا بأهل العراق سنتهم وشيعتهم، وحينها لم تكن هنالك فوارق بينهم، وسأذكر بعض من تجاربي وذكرياتي الشخصية وتجربتي الشخصية هي دليل قاطع على عمق التأثير الفارسي على مجتمعاتنا.

في طفولتي كنا نسكن "البصرة" ، في حي يسمى "جامع أبو منارتين" ، جيراننا من الشيعة والسنّة ، أقرب الجيران إلينا كانوا من الشيعة، كنت ألعب مع أطفالهم، لا فرق بيننا، تعني بي أمهم وأختهم الكبرى فاطمة عندما تشغل أمي "رحمها الله" عن بعض شؤونها، وأنذكر مربيتي أم إبراهيم "رحمها الله" وهي شيعية ، كانت تعاملني كأحد أبنائها.

أنذكر أطباق الطعام يتبادلها الجيران بينهم يوم الخميس دون تفرقة بينهم سنة كانوا أم شيعة، وأعرف الكثير من السنّة تزوجوا بنساء شيعيات والعكس، كان مجتمعا متساماً متعاطفاً متحاباً، لا فرق بينهم ولا تفرقة، لم نكن نعرف الفرق بين السنّة والشيعة إلا في شهر محرم وخلال عاشوراء.

بالطبع كان هنالك تكفير عقدي، ولكن المضحك أنه كان من الشيعة ضد السنّة، حيث تخرج مواكب العزاء الحسيني في عاشوراء تجوب شوارع ليل البصرة وهو يهتفون "يا نايمين الليل يا الكفارة... أنتم تنامون الليل وحنا سهاره"، ولكنه لم يتعدى الهاتف إلى أن يصبح سلوكاً وأفعالاً تؤثر على جوهر العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

التكفير وإن كان متبادلاً بين أتباع كل الديانات، فالمسحي يؤمن أن أتباع الديانات الأخرى كفاراً، والمسلم يؤمن أن أتباع

الديانات الأخرى كفاراً، إلا أن ذلك لا يمنع حقاً ولا يسأله دماً.

فالكل يؤمن أن الله هو الذي يقضى بين الناس يوم الحساب ولم يوكل ربنا إلى أحد من خلقه الحق في أن يصبح قاضياً وجلاً.

هذا ما كان بين السنة الشيعة في العالم الإسلامي قبل سيطرة ملالي إيران على الثورة الشعبية في إيران وتحويل مسارها وتصبح دولة مصدرة لنظام ولادة الفقيه وتنصيب الخميني ومن بعده الخامئني لنفسهما كولاية لأمر المسلمين وخصوصاً الشيعة في مشارق الأرض ومغاربها.

بعد هذا التغير في إيران، غذيت الدعوات والنعرات الطائفية في العراق ودول الخليج وسوريا ولبنان وباكستان واليمن، وبدأ القتل على الهوية، وحدثت مجازر راح ضحيتها الملايين من سنة العراق وسوريا وغيرها.

قتل العربي أخاه العربي لأن مخالف له في المذهب، ونبغ الجار جاره لأن أحدهما شيعي والآخر سني، أصبح البعض قضاة وجلادين، يملكون الحق في قتل وتشريد الآخرين، يحكمون عليهم بالموت، يفجروهم بالقنابل ويدبحوهم بالسكاكين، حتى وصلنا إلى حالة من التشرذم يجعل الحليم حيران، بل وسخرت القوانين في بعض الدول لتقنيين وشرعنه القتل والإرهاب الطائفي.

كنا نأكل من طبق واحد، نفرح لفرح بعضنا البعض ويعزي بعضنا البعض، نعيش كمجتمع واحد بأطيافه المختلفة ومذاهبه المتعددة حتى جاءنا نظام ما سمي بالجمهورية الإسلامية الإيرانية ونظام ولادة الفقيه، وسخر النظام الفارسي مقدرات إيران المالية والبشرية والسياسية لاستقطاب الشيعة العرب، وبذل الجهد إلى أن تتمكن من تهميش علماء الشيعة العرب الذين لا يؤمنون بولادة فقيه "قم" وسعى ونجح في إحلال المرجعيات الفارسية ورسخ سيطرة مراجع ولادة الفقيه الإيرانيون على الشيعة العرب، فأصبح الكثير منهم يؤمن بنظرية "الولي الفقيه".

كنت في طفولتي أرى ما يدعون أنها صور سيدنا على بن أبي طالب - رضي الله عنه -، أو صور الحسين - رضي الله عنه - كما يدعون، في منازل الشيعة ولكن تغير هذا الآن، أصبحت لا أدخل منزلًا شيعياً إلا وأرى صور الخميني أو الخامئني، ليس هذا فحسب بل وترفع صورهم في الأماكن العامة في الكثير من المناطق العربية التي يسيطر عليها الشيعة.

وهذا دليل قاطع على تغلب مذهب ولادة الفقيه الفارسي الصفوی الإيرانی على عقول الكثير من إخواننا الشيعة العرب وأنهم أصبحوا ترساً من ترسوس آلة التوسيع الصفوی والهيمنة الفارسية في عالمنا.

لقد نسى إخواننا أن حكومة الولي الفقيه في إيران تسوم مواطنها من الشيعة العرب سوء العذاب من قتل وتعذيب وتهميشه بلغ حد منع تعليم اللغة العربية وليس الملابس العربية وحتى التسمي بالأسماء العربية.

وفي هذا دليل كافي لكل صاحب عقل ليعرف ما هو التوجه الحقيقي للمشروع الفارسي الصفوی الذي يستخدم التشيع كمطية لتحقيق مآربه في عالمنا.

هذا المشروع الذي يحاول البعض إنكاره، ولكن ما حدث ويحدث في العراق، وما حدث ويحدث في سوريا، وما حدث ويحدث في اليمن، وما حدث ويحدث في طرابلس في لبنان فيها أدله كافية، حيث تحولت السياسة والاختلافات المذهبية إلى قتل وذبح وتشريد تحت غطاء طائفي لم يكن من الممكن أن يحدث لولا التدخل الإيراني في عالمنا.

أتمنى أن يقطع إخواننا الشيعة العرب كل علاقة لهم بإيران الفارسية، فإنها تستعملهم كبيادق الشطرين فقط.

نعم نختلف مع الشيعة العرب في المذهب والدين، وكنا مختلفون معهم عبر التاريخ، ولكننا كنا نعيش بأمان مع بعضنا، نتنفس نفس الهواء ونأكل نفس الطعام ونشرب نفس الماء، نتناقش في الدين ونختلف وكل منا يحاول إثبات صحة مذهبة بالدليل وبالعقل وترك الحكم بيننا إلى الله.

هذه تجربتي ومن تاريخي، أتحسر على الزمن الغابر، وأتمنى أن يعود، أن تعود بيننا الثقة التي فقدت، فأترك بيتي وابني في رعاية أخت شيعية، وأن يتبدل السنة والشيعة أطباق الطعام كل يوم خميس، وأن نتناقش بعض الأحيان في أسعار الطماطم، وعن مشاكل الزراعة والاختلافات بيننا في المذهب ونحن نشرب الشاي.

أتمنى أن يخرج هذا الشيطان الذي دخل بيننا فأدخل الحزن والآسي والقلق إلى كل بيت عربي.  
الله هل بلغت ، اللهم فاشهد .

المصادر: